جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة:الثالثة

المادة :الفلسفة

عنوان المحاضرة: تطور التدوين التاريخي

أسم التدريسي : أ.د كريم علي فليح

إلايميل الجامعي للتدريسي: kareem.ali@tu.edu.iq

1445 هـ 2024م

تطور التدوين التاريخي

يطلق تعبير ، تدوين التاريخ ، Historiography» عادة على عملية اعادةالبناء التصوري للماضي من واقع الحقائق المستخلصة بالطريقة التاريخية وقد مرت عملية تدوين التاريخ بمراحل متعددة يمكن تصورها على ضوء الوثائق التاريخية التي تعود الى الحقب التاريخية المختلفة وعملية التدوين التاريخي التي ينظر اليها بوصفها ظاهرة ايجابية في حياة المجتمعات الانسانية يصح الافتراض على اساس حجم المدونات والمستوى المتقدم الذي وصلت اليه على إنها ظاهرة مرافقة لاتجاهات الدولة العالمية وهذا في وجه من الوجوه يمثل بعداً سلبياً لفكرة التاريخ ظاهرة تاريخية انسانية. وعلى اية حال فإن تطور التدوين التاريخي بوصفها عملية مستمرة يمكن ان ينظر اليه منهجيا وفقا للمراحل الآتية وذلك قبل وصوله المستوى المتطور في حقبة التاريخ المعاصر.

ا ـ العصور القديمة

بعد سكان وادي الرافدين ووادي النيل اسبق الشعوب إلى اختراع الكتابة وتسجيل الأحداث في صورة رموز حضرت على الحجر والفخار أو نقشت على البردي . وفي الألف الثاني قبل الميلاد اكتشف الفينيقيون الحروف الهجائية ثم انتشرت هذه الحروف من بلاد الشام الى انحاء العالم.

ان الغرض الرئيس من اختراع اساليب الكتابة هو تسجيل الاشياء الجليلة التي لا تقتصر أهميتها على الافراد الذين يقومون بتدوينها . وهكذا كانت أولى الوثائق ام المكتوبة عبارة عن حسابات وعقود ثم دونت النصوص الدينية والشرائع فالنصوص العلمية ثم المواثيق والمعاهدات .. وعلى الرغم من أن كل هذه الوثائق يمكن عدها تدوينا للتاريخ بوجه من الوجود الا أنه مع المزيد من البحث والاستقصاء وجدنا انفسنا امام اول اشكال التدوين التاريخي اذ كان الغرض منها اساساً تخليد السابقين والتذكير بأعمالهم على مدار الزمن لقد كانت البداية ورسوماً مقدمة وسجلات بالاعمال ومسلات تخلد الوقائع الكبرى. كما اننا يمكن أن ننظر إلى الوثائق المتعلقة باثيات الملوك بوصفها من الاقدم أشكال التدوين التي يظهر فيها أيضاً وضوح القصد التاريخي .

وقبل ان يظهر اتجاه حفظ الوثائق والمدونات في المكتبات الملكية فإن قيام المعابد بهذه المهمة أمر له دلالاته على أهمية الوقائع التي تتضمنها مما يجعل اصحاب العلاقة يودعونها المعبد كي لا تطالها الايادي العابثة. ومن نافلة القول الاشارة إلى أهمية الدور الذي لعبه رجال الدين في عملية التدوين بصفتهم الفئة الاقدر على التعامل مع الكتابة كما هو مرجح .

ومن المفيد ان نشير أيضاً الى ان بعض الخصائص المهمة لعملية التدوين يمكن متابعتها عبر مختلف العصور ومنها العصور القديمة بطبيعة الحال فإقتصار التدوين على الوقائع المهمة وسوق وجهة نظر الكاتب وانحيازه المتوقع اثناء عملية التدوين مسألتان مفهومتان على مدار التاريخ، فكما نحن في الوقت الحاضر الاندون الا القضايا التي تهمنا . ( ) فإن آلاف الألواح والرقم الطينية وغيرها تعكس لنا المسائل المهمة في حياة إنسان الحضارات القديمة والحوادث والمعارك المهمة التي خاضها العراقيون القدماء (السومريون والاشوريون) أو المصريون القدماء أو غيرهم من الشعوب القديمة تظهر الكتابات عنها وهي تعبر عن وجهة نظر كاتبيها. ان دمار مدينة ، اور ، السومرية على يد العيلاميين مثلا وصفته المدونات السومرية بكلمات عبرت عن مشاعر المرارة والأسى عند كاتبها اذ يقول :

إيه ايانا (نانا) أن تلك المدينة قد حولت إلى

رميم ... وتصدعت جدرانها والناس يئنون ...

في ابوابها العالية التي كانوا فيها يتنزهون ، رميت

جثث الموتى . وفي شوارعها المشجرة . حيث كانت

تنصب الولائم استلقوا متناثرين .. (اور) التي اكل

الجوع اقوياءها وضعفاءها وكوت النيران الاباء

والامهات الذين لم يبرحوا منازلهم والاطفال

المضطجعون في أحضان امهاتهم كالاسماك حملتهم

المياه بعيداً - اواد يا (نانا) لقد دمرت (اور) وشرد اهلها ...)

والتدوين القديم على الرغم من امتزاجه بالقصص المختلفة أو الاساطير يمثل مادة حيوية لاعادة البناء التصوري للحضارات القديمة، بل أن اتجاه معاملة الاسطورة بوصفها بعداً فكرياً وروحياً للاشكال الأولى من الحضارة الانسانية هو اتجاه مفهوم لدى المؤرخين المعاصرين المهتمين بالتاريخ القديم وبعد التقويم اتجاهاً جديداً في التدوين التاريخي في العصور القديمة ، فالسنوات الزاخرة بالاحداث المستحقة للتدوين ترافق في الغالب عهود الحكام العظام وبالتالي فهي معاصرة لهم والحكام معاصرون لها. وفي وقت لاحق أصبحت الطريقة المتبعة في التقويم هي نسبة السنة الى ابرز حدث وقع فيها من قبيل بناء معبد أو حصول واقعة حربية مهمة على أن التطور الاقتصادي قاد بشكل منطقي إلى اعتماد تقويم ينطوي على رؤية مفهومة للسنوات والأشهر من أجل تلبية مصالح اطراف المعاملات الاقتصادية وبخاصة تلك التي تتعلق بايفاء الديون والايجارات واستيفاء فوائد القروض أن يوسعنا ان تفهم أن التقويم الكلداني . الذي اعتبر وصول الملك تابو نهيد سنة (٧٤٧) ق . م اساساً في تقويم الأحداث التي توالت او تعاقبت بوصفه خطوة توخت توحيد تقويمات عديدة متضاربة سارت عليها المدن المختلفة ، كما يمكن أن نتصور أن فكرة التقويم عند العراقيين القدماء قد انتقلت إلى الامم المجاورة وكان التدوين التاريخي عند الاغريق قد اتخذ شكل الاسلوب الملحمي ويذكر في هذا المجال الشاعر الاغريقي ، هوميروس ، بصفته ملهما لامته) وقد اخذ عنه المؤرخون تمجيد البطولة وروح الكفاح الذي يدفع الانسان الى التفوق على من حوله . كما يذكر في هذا المجال ايضا المؤرخ الاغريقي هيرو دتس (٤٨٤ - ١٣٥ ق . م) الذي عبر عن الاتجاه نفسه حين استهل تاريخه بالقول انه يدون التاريخ كي لا يطمس الزمان اعمال الرجال.
وعلى الرغم من امتزاج التاريخ بالاسطورة في بواكير التدوين التاريخي عند الاغريق الا ان السمة العقلانية تبلورت من خلال رؤية تميز بها الكتاب الاغريق عن كتاب التوراة فبينما تدخل عند الأخيرين عملية التوجيه الخارج عن ارادة الانسان نجد أن الاغريق اعتمدوا على تصور مسار الاحداث في ضوء القول بتحزب الآلهة للانسان ومسؤولية الأخير عن الاحداث والوقائع التاريخية وتلاحظ الابعاد العلمية في عملية التدوين التاريخي في اعمال ثلاثة من المؤرخين الاغريق الأول . . هيرو دتس الذي يعد رائد أسلوب استقصاء الحقيقة التاريخية عن طريق التجواب أو الترحال (٢) والثاني : توسيد يدس ، الذي يعد اول من فصل التاريخ عن القصة وكان دقيقاً في تحري صحة الوقائع وتواريخها وبلغ مستوى رفيعاً في الحياد والانصاف وتحليل الاسباب والنتائج . (3) والثالث هو بوليب، الذي يعد رائد استقراء خلفية الاحداث وربطها بمجريات الحدث ونتائجه، فبدون هذا الربط ستكون عملية التدوين التاريخي مجرد نصوص أدبية خالية من

العبرة ولا مستقبل لنتائجها على الرغم من إستمتاع الآذان وانتعاش الاذهان بها واهتم الاغريق بالشكل فضلاً عن اهتمامهم بالمضمون فقد سجل « هيرو دتس . بطريقة فنية مبدعة الدساتير وصراع الاحزاب والمناورات الدبلوماسية فضلا عن الحروب والمعارك، وكان لسان حاله يقول وهو يسجل كل ذلك، أن المعرفة المستخلصة منها مفيدة إلى أبعد الحدود لاؤلئك المواطنين الذين تكون السياسة أو الحرب ديدنهم .

وفي كتابه ، تاريخ الحرب البلويونيية ، اتبع ، توسيد يدس - ذات الطريقة الفنية المبدعة التي اتبعها ، هيرو دتس ، حتى عدت كتاباتهما دروساً في البلاغة فضلاً عن التاريخ. على ان ، توسيد يدس ، ميز اسلوبه بأن اضفى عليه الوحدة الدرامية ابتغاء عرض الحركة التاريخية عرضاً محببا مبهجاً . (1)

اما الرومان فإنهم اهتموا بتدوين الحوادث التاريخية وفق اسلوب الحوليات اعتماداً على السجلات الرسمية التي كانت تعنى بها المؤسسات الدينية، وتناولت وقائع الانتصارات والهزائم وتعاقب الحكام والاحداث المهمة الأخرى وبخاصة تلك التي ترتبط بالمعجزات والاحتفالات الدينية. وكان من أبرز خصائص التدوين التاريخي عندهم هو استثمار التاريخ تربوياً للاغراض السياسية. كما عد المؤرخ نقه صاحب رسالة وطنية ودونها الحقيقة التي يمكن تجاوزها عند الضرورة أو انتقال الكثير منها اذا استدعى الأمر وهكذا كانت ، روما ، محور التاريخ وهدفه اما الشعب واحواله ومشاكله فلا وجود لها في تاريخ روما.

ويلاحظ ان التدوين عند الرومان قد بلغ شأوا بعيداً في الاعتماد على المؤثرات البلاغية. ومن هنا يبدو مفهوماً أن ضعف الحقيقة التاريخية واهمال الربط بين اسباب الاحداث او مقدماتها ونتائجها انما حكمته ظروف الاهتمام بالشكل البلاغي وبوسعنا في هذا العرض السريع ان نشير الى ان ، شيشرون ، وهو أعظم خطباء ، روما ، قد عبر عن هذا الاتجاه حين عرف التاريخ بأنه ، واجب الخطباء المثمر ومن شأن الخطباء أساساً .

ب - العصور الوسطى

عندما حل القرن الخامس الميلادي كانت الثقافة الوثنية للاغريق والرومان قد الت الى الزوال وترسخت محلها الثقافة المسيحية التي استقت من التوراة المادة الرئيسة للتاريخ وعلى الرغم من ثراء الكتاب المقدس بالقصص والاخبار التي تقدم نظرة واضحة الابعاد لتاريخ البشرية . الا ان الفجوات التي تعكس التناقضات والاشكالات والحاجة الملحة للتفسير حيثما اقتضت الضرورة كانت مهمة آنية ومستمرة اضطلع بها القديسون وآباء الكنية وهكذا كان ، القديس أوغسطين : (٣٥٤ - ١٣٠ م) في طليعة رواد المدرسة المسيحية للتاريخ. لقد استطاع بعبقريته أن يقدم مضموناً مسيحياً للتاريخ التوراتي . يبدأ بالخلق وينتهي بالحشر وضمن مار الزمن التاريخي الذي يشتمل على الخطيئة الأولى فالانتظار الطويل الذي سبق التجسد الالهي في شخص المسيح ثم حياة المسيح على الارض ثم المراحل المنظورة لحياة الكنيسة وعظمة التضحية التي تقدمها الكنيسة لله بانتظار الظهور النهائي في يوم الحشر